القَصَصُ القُرْآنيُّ حَقائِقٌ واقِعَةٌ
(نقد فكرة وجود الأساطير في القرآن)

عبد الرؤوف حسن الربيع
جامعة المصطفى العالمية

اشراف:
الشيخ الدكتور أحمد الازرقي

فحوى البحث

يتناول البحث مسألة حساسة وذات أهميّة كبيرة، وذلك بلحاظ الآثار السيّئة التي يمكن أن تترتب عليها لو تمّت وانتشرت في أوساط الناس والشباب، وهي دعوى وجود الخيال والتمثيل والخرافة والأساطير في قصص القرآن الكريم، وحجم خطرها يتضاعف إذا عرفنا أن قسماً من الذين يتبنوّنها هم من المسلمين أو المهتمّين بقضايا التفسير والقرآن، وبذلك يلتقون في قاسم مشترك وواسع مع المستشرقين الذين تعجبهم هذه الموضوعات وتتناغم مع نظرتهم الخاصة الى الاسلام والقرآن.

وبما أن مؤلف كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم -محمد أحمد خلف الله- صاحب نظريّة شاذّة ومثيرة في هذا الموضوع، وهي احتواء القرآن على الخيال والأساطير، فقد وقعت عليها ردود أفعالٍ صاخبة وقويّة من قبل مختلف علماء ومفكّري العالم الإسلامي، وكتابه يحوي تنظيراً وضمّنه جملة من المستندات التي يؤمن بها، وقع الاختيار أن يكون هذا البحث ردّاً تفصيليّاً على آرائه وبشكلٍ مغاير عن الردود السائدة التي حرّرت عليه، فكان الترتيب يستوجب عرض أفكاره بنوع من التنظيم والترقيم أولاً حتى يسهل معرفتها ومن ثمّ ردها مع بيان الآثار التي تترتب عليها وتوضيح حجم خطورتها، وبعد الفراغ من كلّ ذلك تم جمع الأدلّة على الرأي المختار، وهو أن جميع القصص القرآنية هي من الحقائق والأحداث الواقعة.

المقدّمـــــــة:

من الخصائص الأساسيّة التي يتّصف بها الوحي القرآني -ومنه القصص -هو الاتّسام بالصدق والواقعيّة التي لا يعتريها الشكّ والباطل ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾[سورة الجاثية: ٢٩]، وبهذا البيان عدّت الأحداث التي يقصّها الكتاب الكريم من الحقائق الثابتة التي يكفي دليلاً على وقوعها أنها كلام الله تعالى الذي لا يضاهيه في المنزلة والصيانة والقدرة والأداء والأمانة مثيلٌ على الإطلاق، إلا أنّ ثمّة آراء وأفكار تظهر بين فينةٍ وأخرى، وبدواعٍ حسنةٍ أو سيّئة، تلوّح أو تصرّح بفرضيّة وخياليّة القصص القرآنيّة، وأنها إنما سيقت وذكرت لأجل التمثيل وتوصيل الأفكار التربويّة وحسب، ولا غرض لها بالواقع أصلاً في الغالب، وما الطابع السردي الذي تحكيه إلا من باب التفنّن الأدبيّ والأسلوب الجذّاب في التأثير على القلوب وتقريب المعاني العالية إلى الأذهان، وهذا ما نلحظه في كلمات الدكتور محمد أحمد خلف الله المصري الذي كان من المتحمّسين لذلك، بل ترقّى في المسألة أكثر عندما ادّعى إحتواء القرآن على الأساطير بقوله في رسالته للدكتوراه التي أصبحت كتاباً مثيراً للجدل بعد ذلك: «فإنّا لا نتحرّج من القول بأن في القرآن أساطير، لأنّا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصّاً من نصوص القرآن»[(١)].

ونظراً لخطورة هذا المدّعى وفداحة هذه الأفكار وتناغمها إلى حدّ كبير مع ما يروّجه المستشرقون حول القرآن من مطاعن ونواقض[(٢)] يصبح من الضروري الوقوف على حيثيّات وأبعاد المسألة وتقييم ونقد المباني التي ارتكزت عليها، وسيكون محور الحديث منصبّاً بالدرجة الأساس على مناقشة أقوال خلف الله وذلك ضمن

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص٢٠٧.

(٢) يوجد قاسم مشترك بين بعض أفكار خلف الله وبين أفكار المستشرقين، منها تأثر القرآن بما لدى العرب وذكره للأساطير وأن العبرة في القصص في مضمونها لا في سردها ووقوعها وغير ذلك مما يمكن ملاحظته أكثر في تضاعيف البحث. انظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس، ص٥٩؛ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، عمر بن إبراهيم رضوان، ج٢، ص٦٠٢.

المطالب التالية.

أولاً: المراد من القصّة الواقعيّة والقصّة الخياليّة والأساطير:

القصّة مأخوذة من مادّة قَصَصَ وهو التتبّع، فاقتصّ أثره بمعنى تتبّعه[٣]، والقصّ هو البيان والإخبار[٤]، والقصّة رواية لما هو واقعٌ[٥].

ويراد منها هنا القصص القرآنيّة التي تذكر شطراً من حياة الأمم السابقة والأنبياءﷺ وحواراتهم ومواقفهم.

والقصص الواقعيّة هي الثابتة التي حصل مضمونها[٦]، وتقابلها القصص الخياليّة، وهي التي تصوّر على هيئة الجارية والحاصلة وإن لم تجر، حالها من حيث التشبّه والتلوّن كحال ما يشاهد في المنامات[٧].

نعم، قد يقال أن أصل القصّة هو حكاية لما هو واقعٌ واستعمالها في غير ذلك يكون من باب التجوّز، بمعنى أنه أخذ في مفهومها الوقوع، ويمكن استفادة ذلك من نفس معنى التتبّع الذي هو اقتفاء للأثر، أي الذي حدث وجرى، ومنه جاء معنى القِصاص، يقول ابن فارس: «ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ مثلُ فِعلِه بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره. ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتَتَبَّع فيذكر»[٨].

ويقول الجوهري: «قد اقْتَصَصْتُ الحديثَ: رويتُه على وجهه»[٩]، ولربما إلى هذا يشير العلامة المصطفويرحمه الله: «والتحقيق أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رواية واقعة جارية مضبوطة بأيّ وسيلة كانت، قراءةً أو سماعاً، على ما طابق

(٣) الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، الجوهري، ج٣، ص: ١٠٥١؛ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص١١.
(٤) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج٤، ص١٧٩.
(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، السيد المصطفوي، ج٩، ص٢٧٥.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٨٨٠.
(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٢٣٥؛ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٠٤.
(٨) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص١١.
(٩) الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، الجوهري، ج٣، ص: ١٠٥١.

الواقع»[10].

وأما الأساطير فهي جمعٌ لأسطورة، وهي الحديث الباطل المفتعل، يقول الخليل: «ويقال: سطر فلان علينا تسطيراً إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. والواحد من الأساطير إسطارة وأسطورة، (و هي) أحاديث لا نظام لها بشيء. ويسطّر معناه يؤلّف ولا أصل له"[11].

ثانياً: خلاصة آراء خلف الله[12] حول القصص القرآنيّة:

عرض خلف الله أفكاره حول الموضوع باستعراضه ثلاثة ألوان من القصص القرآنية انتخبها وعنونها -بحسب نظره وذوقه وتقسيمه -لتمثّل شواهد حيّة على مبتغاه[13]، وهي:

١. **اللون التاريخي**: ويعني به المرتبط بالشخصيات التاريخيّة كالأنبياء والمرسلين عليهم السلام نظير قوله تعالى حكاية عن قصّة لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [سورة هود: ٧٧].

ويعتقد أن أصل القصّة في هذا اللون متحقّق تاريخيّاً ولكن طبيعة العرض القرآني لأحداثها لا ينظر إلى المجريات وتفاصيلها وتسلسلها المنطقي أساساً بقدر ما يرتكز وينصبّ على الأسلوب الفنّي والأدبي الرفيع في البيان الذي يجتذب الأفئدة ويؤثّر في النفوس، وكأنّ هذا هو المهمّ والهدف من القصص بنحوٍ عام وليس الصدق فيها من عدمه، يقول في

(١٠) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، السيد المصطفوي، ج٩، ص٢٧٥.

(١١) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج٧، ص٢١٠.

(١٢) د. محمد أحمد خلف الله (١٩٠٤ -١٩٨٣)، أديب مصري وعالم باللغة العربية، تخرج في مدرسة دار العلوم العليا ١٩٢٨، ثم درس الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن وعاد إلى مصر ليشتغل بالتعليم، وتدرج في المناصب الجامعية حتى صار رئيساً لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩٤٧ فعميداً للكلية ١٩٥١ ثم وكيلاً لجامعة عين شمس ١٩١٦. وبعد بلوغه سن التقاعد عين مديراً لمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية... [راجع: موقع الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا): ar. wikipedia. org].

(١٣) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٥٢.

هذا الإطار:

«يأخذ القرآن مواد القصص فيه (اللون التاريخي) من أحداث التاريخ ووقائعه لكنّه يعرضها عرضاً أدبيّاً ويسوقها سوقاً عاطفيّاً، يبيّن المعاني ويؤيّد الأغراض ويؤثّر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائيّاً خطابيّاً يستثير منها العاطفة والوجدان»(١٤).

«القصّة التاريخيّة ليست عرضاً تاريخيّاً تطلب فيه المطابقة الواقعيّة المحقّقة للصدق العقلي... وانتهينا إلى أن القصّة التاريخية في القرآن قصّة أدبيّة يقصد منها غير ما يقصد من التاريخ»(١٥).

ويرى أن القرآن يجيز لنفسه أن ينقل القصص التاريخيّة بالخلفيّة المنطبعة عند الناس المخاطبين حفاظاً على التأثير في نفوسهم وانسجاماً مع التفنّن الأدبي: «على أنا نستطيع أن نمعن في الدلالة على أن القصّة التاريخيّة في القرآن قصّة أدبيّة يعتمد فيها القرآن على تصوير الأحداث كما يعتقدها المخاطبون، وهو الأمر الذي أجازه بعض القدماء، بل رآه بعضهم أمراً لابد من القول به ليسلم القرآن من المطاعن ويستقيم الأسلوب الأدبي في قصص القرآن الكريم»(١٦).

٢. **اللون التمثيلي**: ويريد به ذاك الذي يقصد منه البيان والإيضاح وزيادة الشرح والتفسير لفكرةٍ ما عبر المثال والفرض والخيال، وهو: «العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيّل القاص لحوادث وقعت من بطلٍ لاوجود له، أو من بطلٍ له وجود ولكن الأحداث التي ألّمت به لم تقع أصلاً»(١٧).

وحينئذٍ: «لا يلزم أن تكون أحداثه من الحقائق، فقد يكتفى فيه بالفرضيّات والمتخيّلات»(١٨)، بل المتعيّن لديه أنها من نسج الخيال: «لن نجد من يعارض في وجود القصّة التمثيليّة في القرآن الكريم وأنها وليدة الخيال»(١٩).

ومن أمثلة هذا اللون التي ذكرها قصة

(١٤) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٥٦.
(١٥) المصدر السابق، ص١٦٣.
(١٦) المصدر نفسه، ص١٧٢.
(١٧) المصدر نفسه، ص١٩٨.
(١٨) المصدر نفسه، ص١٥٣.
(١٩) المصدر نفسه: ١٩٨.

نبي الله عزير عليه السلام: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]، وقصّة طالوت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣][٢٠].

٣. **اللون الأسطوري**: وهو من استنباطاته التي تفرد بها وخالف فيها إجماع المسلمين، وقد عرّفه باللون الذي يستعين به القرآن في تفسير غاية أو ظاهرة معيّنة أو شرح مسألة بالأساطير المحكيّة لدى الناس فيضمّنها الآيات كأداةٍ ووسيلة لتحقيق ذلك، وبهذا تصبح الأساطير أحد المواد الأدبيّة التي تتشكّل منها القصص في القرآن[٢١].

يقول: «وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصّة أصحاب الكهف أو قصّة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير. قلنا: ليس في ذلك على القرآن من بأس، فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالميّة والأديان الكبرى، ويكفينا فخراً أن كتابنا الكريم قد سنّ السنن وقعّد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين»[٢٢].

هذه زبدة الآراء التي صوّرها خلف الله حول قصص الكتاب الكريم، والجامع لها أن الغاية والقصد من ذكر القصص في القرآن هي التأثير في النفوس وتطويعها على الهداية، ولا يتم ذلك دون الاستفادة من جمال اللغة والأدب والتفنّن في أساليب البلاغة وسحرها حتى لو استغرقت في الخيال، وحينئذٍ لا غرابة في احتواء الآيات على الأساطير ومثيلاتها إذا كانت توصل المضامين بنحوٍ أوقع في القلوب -كما هو كذلك بحسب اعتقاده -، وحتى الأحداث التاريخيّة التي حصلت لا غضاضة في ذكرها بالصورة التي توجد في

(٢٠) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٩٢.

(٢١) المصدر السابق، ص١٥٣.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

أذهان الناس لا التي كانت عليه في الواقع تماماً، وبعبارة أخرى: إن ذكر القصص غير الواقعيّة أسلوب أدبيّ مقصود من الخالق تعالى لمخاطبة الناس وتبليغهم المعارف، وذلك لحاجتهم إلى ذلك وليس لحاجته.

ثالثاً: الآثار المترتبة على هذه الآراء:

من أجلى وأوضح الآثار والنتائج التي تترشّح من الاعتقاد بهذه الأفكار حول القصص القرآنيّة هو ضمور التفاعل الحيّ والصادق بين القارئ وهذه القصص، بل مع جميع آيات القرآن بنحوٍ عام؛ لأن القرآن بالنسبة إلى المسلم هو الدستور والخطاب الإلهي المعصوم والمعجز الذي لا يضاهى ويقاس بغيره، ويمثّل النصّ المقدّس الذي يجزم بحقّانيّته وصدقه ومطابقة آياته للواقع، وبسبب شدّة استيثاقه به وبالخالق الذي أرسله يقبل أن يستقي منه الأحكام والحجج، ويستلهم منه ومن قصصه المواعظ والدروس والعبر، ويقتدي بالشخصيّات العظيمة المذكورة في ثناياه، أما لو تزلزل هذا الوثوق وتزعزع مستوى هذا الاعتقاد فالنتيجة الحتميّة لذلك هي ضعف التصديق بالقرآن وبمرجعيّته في حياة وسلوك الإنسان وصلاحيّته في إدارة شؤونه، ومن الواضح أن مسايرة آراء خلف الله -والقبول ولو في قسم من الآيات الشريفة بأنها متأثّرة بالاعتقادات والأساطير المنتشرة عند البيئة الجاهليّة، وباحتوائها على الخيالات والقصص المفتعلة -كفيلة في عدم التفاعل الحقيقي والجدّي مع المجريات التاريخيّة والقصصيّة في القرآن، وفي الإحساس بعدم قابليّتها للانطباق التام على الواقع المعاش، وبابتعادها عن المساس بصلب الأحداث الطبيعيّة والتجارب والابتلاءات التي تعصف بالإنسان، فينشأ نوع من الفاصلة والانقطاع بين واقع الفرد المسلم والقصّة التي تصوّر له -وفق رأي خلف الله -أنها خيال، وبطبع الإنسان أنه إذا فقد الثقة والتفاعل والتصديق مع جزءٍ من كلامٍ يسحبه عليه بالكامل، وبعبارة صريحة: إذا أحسّ المسلم باضطرابٍ وريبةٍ اتجاه القصص القرآنيّة التي تمثّل بعضاً من القرآن فسوف يرتاب ويفقد الثقة في القرآن كلّه.

والقول بأن هذا ضرب من الفن الأدبي

الساحر الذي يأخذ بمجامع القلوب هو قياسٌ للقرآن بالقصص الأدبيّة المتداولة، وهو قياسٌ فاسدٌ جدّاً؛ فإن هذه الحكايات والروايات لا غاية من ورائها أكبر من الإثارة واستعمال البلاغة وبيان الغرض من سردها في أحسن التقادير، ولا تتطلّب من القارئ قمّة التصديق بها واعتبارها مصدراً لا يأتيه الباطل من قبل ومن بعد، بخلاف القصص القرآنيّة التي هي جزء من القرآن المعجز المعصوم عن الخطأ، والذي لا يَقْصُر عن إيصال فكرةٍ وتقريبها عبر التوسّل بما عند الناس من خرافات وأباطيل، ويراد له أن يكون آية على صدق النبوّة ودستوراً خالداً للبشريّة ومرجعاً لها في الحلال والحرام والسلوك من لدن خالق الوجود المقتدر!!.

وهل يتصوّر أن أغراض واستعمالات الآيات وحتى تراكيبها البلاغيّة والأدبيّة هي من قبيل أغراض الكتّاب والأدباء البشر الذين يستعيرون الكنايات والأوصاف الكاذبة لإيصال أفكارهم حتى قيل في شعرهم أن أكذبه أعذبه؟!!.

لم يعرف القرآن أبداً من ساوى بين الاستعمالين والغرضين، ويكفي في ذلك قول الامام علي عليه السلام: ((**وَ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَ الْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَ الْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَ مَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى، وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَ لَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى... فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُم**))[٢٣].

ثمّ أن هذه الأفكار تنسجم كثيراً مع النظريّة التي يذهب إليها الفريق الواسع من المستشرقين وبعض المنفتحين بأن القرآن الكريم قد تأثّر بالثقافة والبيئة التي ظهر فيها[٢٤]، وأنه انفعل بالجو السائد آنذاك بنحوٍ واضح، حتى صار يستعمل أمثلة الجاهليّين العرب وآدابهم ورسومهم وأساليب قصصهم وحكايات

(٢٣) نهج البلاغة، ترتيب د. صبحي الصالح، الخطبة ١٧٦.

(٢٤) انظر مثلًا: قرآن وفرهنگ زمانه، السيد محمد علي أيازي، ص١٠٥.

أساطيرهم، ولا يخفى أن هذا الرأي العليل أحد أبرز لوازمه وأغراضه هو القول ببشريّة القرآن وعدم إعجازه، وأنه مؤطّر بالزمن الذي نزل فيه، ولم يعد صالحاً لهذا العصر، وبالتالي لابد من طرحه والتحوّل عنه إلى القوانيين الحديثة الأرضيّة، وهو لازمٌ خطيرٌ ومهم ولا يبقي للقرآن وزناً، ويدعو صراحاً إلى هجر التعامل والتعاطي الإيجابي معه.

رابعـــاً: مستندات خلف الله حول آرائه ونقدها:

أ. مستنده حول رأيه في اللون التاريخي:

عمد خلف الله في هذا اللون على التركيب بين مجموعة من الأفكار اعتبرها مستنداً ودليلاً على رأيه، وأوّلها: أن القرآن تخلّى عن ذكر الكثير من التفصيلات التاريخيّة مما يعني عدوله عن قصد النقل التاريخي، ففي قوله تعالى -مثلاً- حكاية عن قصّة قوم عاد: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر: ١٨ -٢١] لم يذكر لنا القرآن شيئاً عن صفة عاد أو بيوتها أو ما دار بين قومها وبين نبي الله هود عليه السلام، والنتيجة: «ومن هنا لا نستطيع أن نقول بأن هذه القصّة تقصد إلى تعليم الوقائع والتعريف بالتاريخ... عدل القرآن عن كلّ هذا لسببٍ بسيطٍ هو أنه يقصد للموعظة والعبرة ولا يؤرّخ للأفراد والجماعات والأمم والشعوب»[٢٥].

وثانيها: أن سرد القصّة وطبيعة ما يذكر فيها لا يتوقّف أساساً على السير التاريخي وإنما يعتمد على مناسبتها للأغراض البلاغيّة المؤثّرة، فقضيّة أحداث الطوفان مع نبي الله نوح عليه السلام -مثلاً- رغم كونها مفصلاً مهمّاً في قصّته وتعدّ زاخرة بالمواقف لم يشر القرآن إليها إلا بمقدار الآية والآيتين ونحو ذلك مما يدخل في الغرض والمقصد المرجو بيانه من الآية.

يقول: «... المقاصد والأغراض هي التي تدفع إلى ذكر بعض الأحداث وحذف بعضها الآخر،... وإن هذا الاختيار إنما يقوم على الاعتبارات البلاغيّة الأدبيّة التي

(٢٥) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٥٤ -١٥٥.

نردّها إلى منطق العاطفة لا إلى منطق النظر العقلي»[٢٦].

وثالثها: وجود الاختلاف أحياناً في ترتيب الأحداث في القصص من سورة إلى أخرى، وهو الذي جعل المفسّرين يختلفون ويتحيّرون في كيفيّة التوفيق بين مجرياتها والتوحيد بينها[٢٧]، من قبيل قصّة نبي الله لوط عليه السلام الواردة في سورة الحجر وقصّته الواردة في سورة هود.

«لقد خالف بينها في الترتيب ليشعرنا بأن هذه القصّة مستقلّة وتلك قصّة مستقلّة، وأن ترتيبه للأحداث يختلف لاختلاف المقاصد حتى ولو أدّى هذا الاختلاف إلى إهمال أهم مقوّمات التاريخ وهو الزمان»[٢٨].

ورابعها: تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطبون، وأن هذا الأمر لابد من الالتزام به «ليسلم القرآن من المطاعن ويستقيم الأسلوب الأدبي»[٢٩].

وكشاهد على ذلك ذكر أن القرآن في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٢]، ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٥] لم يقم بالتنصيص على عدد أهل الكهف أو بيان المدّة التي لبثوا فيها لأن مرجع هذا التحديد إلى قول السائلين من القوم، وأما موقفه فهو الرد بـ ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، وحينئذٍ يصبح بيان هذا المقدار تمشّياً لما هو منتشرٌ عند الناس ولما يعتقده المخاطبون:

"فالقوم يسألون النبي عن العدد وعن المدّة وقد جعلوا آراء اليهود قياساً يقيسون به صدق النبي عليه السلام، ولو نزل القرآن بغير هذه الآراء وبخلاف هذا المقياس لكذّبوا النبي ولما آمنوا به أو بالقرآن»[٣٠].

نقد وتقييم هذه المستندات:

(٢٦) المصدر السابق، ص١٥٥.
(٢٧) المصدر نفسه، ١٥٨.
(٢٨) المصدر نفسه، ص١٥٧.
(٢٩) المصدر السابق، ص١٧٢.

(٣٠) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٧٤.

يلاحظ على ما تقدّم الأمور التالية:

١. القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد، وهذا هو هدفه الأساس الذي جاء في نفس الآيات: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة النحل: ٦٤]، وبالتالي فما يرد فيه من قصص وأخبار الماضين فالغاية منه بيان ما فيه العبرة والاعتبار والهداية وليس ذكر ما جرى على الأمم السابقة بالنحو الموجود في كتب التأريخ وأحوال الشعوب، وحينئذٍ فمن الطبيعي أن يختار من الأحداث ما يناسب هدفه وغرضه وإن أدّى ذلك إلى إغفال التسلسل الزمني أو الترتيب المنطقي لجريانها، ولا يدلّ هذا على عدم تحقّق الوقائع، ولا يصلح كشاهد على كون الأحداث متناقضةً في النسق الذي اعتبره صاحب الدعوى علامة على استقلالها وكونها صنيعاً للأدب والخيال الفنّي، فمن أين أتى بالملازمة بين اختيار القرآن للأحداث -الذي هو بداعي الهداية -وبين أن يكون ذلك تمشّياً مع الأسلوب البلاغي المؤثر بمنطق العاطفة لا العقل -كما يدّعي -وإن كان عبر التوسّل بالخيال والمبالغات والاستعارات الكاذبة؟!!.

٢. اختلاف المفسّرين في تسلسل أحداث بعض القصص ناتج من تفاوتهم في إدراك وفهم بعض النكات والقرائن المعينة في اكتشاف الترتيب بينها، ومن عدم التفاتهم أحياناً إلى الزاوية والمصبّ الذي تركّز عليه الآية حين ذكرها للموقف؛ فقد تدخل فيه عنصر الزمان مثلاً وتعتبره ضرورياً وقد تغفله، وهذا لا يسوّغ وصف القرآن بأنه لجأ إلى ذلك طوعاً من باب التخيّل والتوسّع الأدبي، والنتيجة: أنه لا يوجد تهافت في ترتيب أحداث القصص واقعاً، وإنما الاختلاف هو في فهمها وتفسيرها من قبل المفسّرين أنفسهم، ولأسباب راجعة إليهم لا إلى القرآن.

٣. تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطبون لا كما هي في الواقع هي

دعوى فاقدة للدليل، ولا يملك أصحابها برهاناً شافياً بدرجة من الإحكام، وكلّ ما يذكرونه لا يعدو بعض الاحتمالات الذوقية الخاصّة والتأويلات البعيدة عن الارتكازات العرفيّة الواضحة في بعض الآيات، ومن المؤسف أن يؤسّس رأي مهمّ كهذا بهذه البساطة؛ ففي مثال عدد أصحاب الكهف أو مدّة لبثهم في الكهف صوّر لنا خلف الله أن القرآن كان مضطراً لذكر العدد الذي هو محكيٌّ عن اليهود ليسلم عن المطاعن ويستقيم أسلوبه الأدبي الذي يراعي حال المخاطب ليؤثر فيهم -أي لو ذكر غير هذا العدد لما استطاع القرآن أن يؤدّي دوره ويسلم من محاججة واعتراض اليهود -وهذا الاستظهار في غاية الركاكة، فمن أين عرفنا-مثلاً-أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [سورة الكهف: ٢٥] هو حكاية عن اليهود وليس إخباراً من الله تعالى بمدّة اللبث؟!.

أوليس اختيار الحكاية والخروج عن الإخبار-الذي هو أصل -يحتاج إلى قرينة قويّة وساطعة؟!.

وهل القول بالحكاية والتأثّر باليهود هو أقوى من سياق الآية الذي يتحدّث عن عقيدة البعث وقدرة الله العجيبة وآياته الباهرة التي يناسبها التنصيص على المدّة بجلاء؟!!.

يقول العلامة الطبرسي رحمه الله في تقريع وجه الحكاية: "وقد ضعّف هذا الوجه بأن أخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية، إلا بدليل قاطع، ولو كان الأمر على ما قاله، لم تكن مدّة لبثهم مذكورة. ومن المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته، وباهر آيته، وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدّة لبثهم»[٣١]، وبالتالي يصبح مفاد الآية التي بعدها -﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[سورة الكهف: ٢٦] -إبطالاً لقول اليهود وأمثالهم عبر الأخذ بالمدّة التي صرّح بها الله سبحانه، فأين هذا

(٣١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج٦، ص٣٣٤.

المعنى المتّزن والقويم والمناسب للسياق مع الدعوى المذكورة؟!!.

ثم أننا لو تنزّلنا وقلنا أن العدد هنا ذكر للحكاية فكيف لنا أن نفسّر ذلك باستسلام القرآن لليهود واضطراره لذكر عقيدتهم الخاطئة وترجيحها على ذكر الحقيقة؟. أهو ضعفٌ في القدرة الإلهيّة وهي التي لا يعوزها شيء و: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [سورة الطلاق: ٣]؟!. أم هو أسلوبٌ وديدنٌ في الكتاب وقد صدحت آياته: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ..﴾ [سورة المائدة: ٤٨]؟!!. ألا يوجد غرض عقلائي ومنسجم مع مضمون هذه الآيات والنماذج غير هذه الدعوى حتى نقصر استفادتنا وتحليلنا عليها؟!!. والخلاصة: إن هذا التصوير باطلٌ من أساسه، وقد سبق وأن ألمحنا الى أنه يتّسق مع القول بتأثر القرآن بثقافة عصره، وهو الآخر رأيٌ غير قويم وذو لوازم فاسدة، ويصوّر لنا القرآن وكأنه وليد فكر وعادات الجاهليّة، ويتعامى عن الفوارق الجوهريّة والاختلاف الشاسع بين الحضارة الذي أسسها القرآن وخالف بها عقائد وعادات المشركين في زمن النزول وبين ثقافتهم المتخلّفة.

٤. استعمال القرآن الكريم لقوّة الأدب والفنّ والبلاغة في إيصال مطلوبه وأغراضه أمرٌ لا ينكر، بل إن من أوائل معاني الإعجاز فيه هو الإعجاز البياني، ولكن لا يكون بميزان العاطفة المجرّدة عن الحكمة والعقل؛ فاستعمال الخيال والتصرّف في الأحداث التاريخيّة والزيادة فيها إذا اعتبرناه معزّزاً للأسلوب الأدبي المقنع والمؤثّر في تحقّق الغرض كما يشير خلف الله فإنه يقابله في الوقت ذاته ما ينقض الفائدة منه ويبعّد عن إصابة غرضه من ناحيةٍ أخرى وهو عدم الصدق والواقعيّة، وهذا خلاف الحكمة والهادفيّة الإلهيّة التي هي من أبرز سمات وصفات المدبّر والمرسل للقرآن، ولا يتناسب مع قدرته على البلاغ.

ب. مستنده حول رأيه في اللون التمثيلي:

يقتنص من مجموع كلام خلف الله حول هذا اللون أنه يرتكز على عدّة حيثيّات، وهي بإعادة صياغة وترتيب كالتالي:

الأولى: أن التمثيل يمتاز عن الكلام العادي المجرّد عنه أنه يوضّح المعنى بصورة أجلى، إذ قد تذكر معنىً فلا يتّضح للسامع، فتردفه بمثال وتشبيه فيرتفع الإبهام فيه ويصبح الأداء أرقى وأتمّ كمالاً، فإذا كان كذلك فالقرآن بحكم كونه تبياناً لكل شيء وكونه كاملاً فيجب أن تحتوي قصصه على التمثيل، ويجدر بنا أن نتعامل مع قصصة بهذا النحو[٣٢].

الثانية: بالرغم من اتفاق الكلّ على وجود الأثر النفسي للتمثيل إلا أن البعض لا يتعاطى مع القرآن والنصوص الدينيّة إلا بمنطق الصدق العقلي وينكر أو ينسى ما عداه، ويعتبر القول بالتمثيل والخيال حينئذٍ ضرباً من الكذب، وهذا الصنف لم يكتشف الحقيقة الأدبيّة، ولم يوفّق لهضم أن استعمال التشبيهات لا يعد في البلاغة كذباً وإن عدّ كذلك في المنطق[٣٣].

الثالثة: إذا عرفنا أن المتحدّث يسلك التمثيل ويستعمله فلنا أن نتعامل مع كلامه بالأسلوب الأدبي وبما يجول في نفوسنا وخيالاتنا من معنى جرّاء قراءتنا أو سماعنا لألفاظه؛ إذ هو قاصدٌ لذلك ونحن نعلم به، فنصبح جميعنا على تواطئٍ بالأمر، ولا يعدّ صنيعنا كذباً وخلافاً للواقع؛ لأنه يطابق ما بنفوسنا ومشاعرنا من خيال:

«إذا كان هناك مذهب أدبي أو بلاغي تجري عليه اللغة في التعبير عن العواطف والأفكار وكان هذا المذهب لا يعنى بمطابقة لحق فإن للأديب الحق في أن يجري على هذا المذهب وليس للقارئ أو السامع عليه اعتراض ما دام قد عرف مذهبه في هذا ولا يستطيع أن يجعل صنيعه هذا من باب الكذب بحال من الأحوال. ونعتقد أن هذا يوضح أموراً كثيرةً و يجعلنا نقول بوجود القياس الشعري والتعبير عن الصور التي يخلقها الذهن أو الخيال في

(٣٢) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٨٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص١٨٦ -١٨٧.

القرآن وفي كلام الأنبياء»[٣٤].

الرابعة: كما أن البيان العربي يقوم على الواقع كذلك يتّكئ على العرف والخيال والعاطفة والمبالغة: «فليس يلزم في الأحداث أن تكون قد وقعت وليس يلزم في الأشخاص أن يكونوا قد وجدوا وليس يلزم في الحوار أن يكون قد صدر وإنما قد يكتفى في كل ذلك أو في بعض ذلك بالفرض والخيال ومن هنا كانت القصة التمثيلية عند المفسّرين قصّة بيانية، أي قصة فنية»[٣٥]. وهذا يعرف باقتفاء أقوالهم (المفسّرين) في التفسير، والكثير ممّن اعتبر القصص التمثيليّة من الآيات المتشابهة هو عاجزٌ عن فهم التمثيل واستخراج المعاني منه[٣٦].

ومن الشواهد التي اقتبسها خلف الله من كلمات المفسّرين انتصاراً لرأيه:

أ. ما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٦٧] نقلاً عن الكشاف:

«لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ وقرئ بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز... ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب»[٣٧].

ب. في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ

(٣٤) المصدر نفسه، ص١٨٧.
(٣٥) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٣٦) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٣٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج٤، ص١٤٢.

مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩] نقلاً عن تفسير المنار: «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم»(٣٨).

ج. في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٧ – ٣٠] نقلاً عن تفسير المنار –أيضاً–:

«والحق فيما قصّه علينا الوحي من قتل قابيل أنه بيان لما في استعداد البشر من التنازع بين غرائز الفطرة بالتعارض بين عاطفة وشيجة الرحم وحب العلو والرجحان والامتياز على الأقران في رغائب النفس ومنافعها وما قد يلد من الحسد وما قد يتبع الحسد من البغي العدوان فضرب الله مثلاً لبيان هاتين الحقيقتين ليرتّب عليه بيان كون غريزة الدين بل هدايته هي المهذبة للفطرة البشرية بترجيح الحق على الباطل والخير على الشر فكان قابيل مثلا لمن غلبت عليه النزعة الثانية وهابيل مثلاً لمن غلبت عليه الأولى بترجيح هداية الدين...»(٣٩).

د. في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣] نقلاً عن تفسير ابن كثير: «وقال ابن جريج عن عطاء قال: هذا مثل»(٤٠).

(٣٨) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السيد محمد رشيد رضا، ج٣، ص٤٤.

(٣٩) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السيد محمد رشيد رضا، ج١٠، ص٢٠٥.

(٤٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٥٠٢.

الخامسة: أن وجود الخيال في القرآن هو بسبب حاجة البشر إليه في محادثاتهم وتعابيرهم وأحاسيسهم، فلا يحتج بأنه مستحيلٌ على الله تعالى لغنائه عنه: «وهنا أمر آخر لا بد من توضيحه هو أن الحاجة إلى الخيال في القصص القرآني أو في التمثيل القرآني لم تأت لحاجة المولى سبحانه وتعالى إلى الخيال في التعبير عن المراد. وحاشا لله أن يحتاج إلى الخيال. وإنما جاءت لحاجة البشرية لهذا الخيال ولأن ذلك هو الأسلوب الذي تجري عليه في التعبير عن الأحاسيس والأفكار»[٤١].

وبمجموع هذه الحيثيّات يتوصّل خلف الله إلى أن القصّة التمثيليّة موجودة في القرآن، وقد اعترف بوجودها أهل التفسير، وأنها أسلوبٌ فنيٌّ وأدبيٌّ ينسجم مع طبيعة الإنسان في التعبير وإطلاق الخيال والعواطف.

التعليق والملاحظة على هذه الحيثيّات والمستندات:

ويرد على هذه الحيثيّات -الخمس- النقاط والمؤاخذات التالية:

١. ليس الكلام الأكمل والأصوب هو المرتبط بالتمثيل دائماً؛ فيمكن أن يوسم بالتمام والكمال من ناحية جودة تأليفه وقوّة بيانه ووضوح مقصده من دون دخلٍ لوجود المثل فيه، بل قد يصبح اقترانه به أحياناً علامة وآية على ضعف تركيبه وركاكته، ولو كان الأداء الكامل لا يتم إلا به لأصبح هو الأصل في محادثاتنا وتعابيرنا، ولكان كلّ تمثيل يحتاج في كماله إلى تمثيل أيضاً؛ لنفس النكتة.

وبناء على ذلك لا يصحّ التعامل مع القصص والإخبارات القرآنية على أنها خيال بمجرّد ادّعاء أن تمام بيانها بالتمثيل، وكأن المدّعي يريد بفكرته أن يقول: أن الأصل في حكاية المواقف والقصص في القرآن هو عدم وقوعها لعدم إرادة المتحدّث -وهو الله تعالى- الصدق الوقوعي، وإنما تتعلّق إرادته بالتبيين الذي لا يحصل إلا بضرب الأمثال الخياليّة، إلا إذا ثبت العكس بالقرينة، وهو قولٌ مجانب للصواب ومخالف لما عليه العرف

(٤١) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص١٨٨.

ونظام اللغة والاستعمال.

٢. تخطئة خلف الله لمن وصفهم بالتعاطي مع القصص القرآنيّة بمنطق الصدق العقلي فقط مع اعترافه باتفاق الجميع على وجود الأثر والنفع في استعمال المثال ليس في محلّها؛ لأن تعاطيهم هذا لا يعني رفضهم لتضمين بعض الآيات للأمثال، كيف وقد صرّح القرآن نفسه في بعض الآيات بـ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢١]، وإنما كان موقفهم هذا مبنيّاً على عدم صحّة التعامل مع القصص والإخبارات على أنها تمثيل وخيال مع عدم وجود قرينة صارفة عن إرادة الوقوع الذي هو الأصل، سواء كانت القرينة لفظيّة متضمّنة في نفس السياق القرآني أو قرينة لبّيّة، وهذا هو مقتضى ظهور أيّ إخبار وحكاية في العرف، والخروج عن هذه الطريقة يعدّ خلافاً لقصد المتكلّم الحكيم الذي لا يقصر في تبيين مراده، وبالتالي إذا لم تصرّح الآيات بالتمثيل أو يستشف من سياقها ولم ينهض دليل عقلي صارف عن إرادة الجدّ والتحقّق فلا يمكن رفع اليد عن الصدق والوقوع في الأحداث.

٣. كيف علمنا أن المتحدّث -وهو الله سبحانه- يسلك التمثيل والأسلوب الأدبي في قصصه بحيث نتواطأ معه في مقصده ونتعاطى معها بنفس النيّة؟!!. وحتى لو عرفنا أنه يستعمل المثال في بعض المواضع-من باب الفرض- فمن أين لنا القطع بإرادته واستعماله التمثيل في سائر المواضع؟!!. والخلاصة: طالما أنه سبحانه لم يفصح عن إرادة الخيال ولم يظهر ذلك من قرينة لا طريق لنا إلى القول بعدم واقعيّة القصص فكيف وقد صرّح في آيات الكتاب العزيز بأنه أنزل القرآن -بما فيه من إخبارات وقصص- مصاحباً للحق والأمر الثابت الذي لا يخالطه الباطل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة آل

عـمـران: ٦٢]، ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٢]، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٣]؟!!.

٤. قـولـه بـأن المفـسّريـن يتعاملون مع القصص التمثيلية على أنها مقطع فنيّ أشبه بالمصادرة؛ فأصل القصص التمثيليّـــة لم يثبت بعد، وأن ديدن المفسّريـن هـو التعامل مع قصص القرآن بالخيال مجافٍ للواقع؛ إذ الغالبيّة العظمى منهم يسلّمـون بواقعيّتها، وإنـما النزر اليسير منهم توقّف عند بعض المواضع التي احتار في كيفيّة تفسيرها أو التوفيق بينها وبين نظائرها أو قام بالاستيحاش منها واستبعادها فاحتمل التمثيل أو لجأ إليه، وتصرّفهم هذا ناتجٌ من ضيق خناقهم وعجز قـدرتهـم عـن الـوصـول إلى التفسير القويم والمعقول ولا يقلب النتيجة على الأغلب ويصيّرها هي الصواب، فمجرّد استيحاش بعض المفسّرين بشكل شخصي من مثل قصّة عزير عليه السلام أو قصّة طالوت وغيرها لا يعدّ دليلاً علميّاً صارفاً للمعنى الحقيقي طالما أنه لا يصادم استحالة عقليّة أو يخالف أمراً قطعيّاً، خاصة إذا نظرنا إلى سعة قـدرة الله المطلقة وحكمته وتدبيره الغير محـدود، والخـروج عـن ظاهر الآيات وإرادة المعاني البعيدة منها لا يعدّ تفسيراً، ومنه يظهر الإيـراد على ما ذكره خلف الله حول قصّة ابني نبي الله آدم عليه السلام -من تفسير قابيل بنزعة الشرّ الموجودة في البشر وتفسير هابيل بنزعة الخير والصفاء -نقلاً عن تفسير المنار فهو تكلّفٌ واضـحٌ ولا يعد تفسيراً للظاهر.

ثم أن قسماً من الأمثلة التي ساقها خلف الله ليست من قبيل القصص، وإنما هي ضربٌ من بيان بعض معاني التوحيد والعقيدة والدين وما شاكل ذلك، والتي تكون القرينة في إرادة التمثيل فيها بارزة وجليّة، وهـي خـارج نطاق موضوعنا أصـلاً، كقوله تـعـالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧]، حيث استعملت الآية الشريفة القبضة للكناية عن السلطنة الإلهيّة على الموجودات، وأين هذا من القول بوجود الخيال في القصص القرآنيّة؟!!.

٥. حاجة الناس إلى الخيال بالمعنى الذي أشار إليه خلف الله لا تعدو استفادتهم للمعاني المجازيّة عند توجّههم للقرينة المكتنفة للكلام لتصرفه عن معناه الحقيقي، وهي لا تحصل مع فقدان القرينة، وليست أمراً مغايراً لما هو المعهود في أساليب المحاورة المتعارفة، وحينئذٍ لا تكون الحاجة إلى الخيال واطلاق العواطف من البشر مصاحبة لكل كلام وقصّة وإخبار يطرق أسماعهم، وإنما في الموارد التي توجد بها علائم وقرائن تحفّزهم للتحليق في المعاني الخياليّة والمجازيّة، أي: ليست الحاجة إلى الخيال عند الناس هي السبب في لجوء المتحدّث إلى استعمال التمثيل، وإنما نفس المتكلّم إذا أراد المثال يقرن كلامه بما يشعر بذلك فيفهم منه المستمعون أنه يريد الخيال لا الواقع، وهذه نقطة جوهريّة فلا يقع اللبس فيها.

فيتضح مما تقدّم أن جميع الحيثيّات التي ساقها خلف الله لاثبات فكرة التمثيل في القصص القرآنيّة مردودة وليست تامّة.

ج. مستنده حول رأيه في اللون الأسطوري:

رغم اعترافه بإجماع المفسّرين على رفض وجود الأساطير في القرآن وأنه ينحى منحىً منفرداً وشاذّاً عن مسلكهم بدأ خلف الله تمهيده لرأيه بالتفريق بين هيكل القصّة -ويسمّى جسم الحكاية أيضاً- وهدفها الذي يحوي الحكمة والتوجيه والإرشاد، وأن الأدباء وأهل الفن أجازوا أن تكون مادة الهيكل باطلة وخرافيّة وغير صحيحة في نفسها ولا يعتقد بها المتكلّم بينما هدف القصّة يكون مقصوداً منه بداعي الوعظ والتوجيه وبيان المبادئ، ثم علّق -مستفيداً من نصّ للرازي في تفسيره[٤٢] وآخر لصاحب

(٤٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، ج١٧، ص٢٥٥.

المنار[٤٣] -قائلًا: «إذ الواضح أن الأستاذ الإمام يجيز أن يكون في التعبير القرآني قصصاً وغير قصص أثر للأساطير إجراء للعبارات على تلك الظواهر الخرافية لأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل كما يجيز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه كما هو المعروف عند الأدباء فجعل الخرافات الوثنية أداة للتعبيرات البلاغية»[٤٤].

ثم قام بجمع كل الآيات التي ورد فيها ذكر (أساطير الأوّلين) في القرآن- وعددها تسع -وذكر أن بها أربع دلالات تقود إلى القول بنظريّته حول الأساطير، وهي بنحوٍ من التلخيص[٤٥]:

الدلالة الأولى: أن جميع الآيات التسع المتناولة لمفردة الأساطير هي من القرآن المكّي، حتى التي تضمّنتها سورة الأنفال المدنيّة؛ إذ رجّح كون بعض آياتها مكيّة.

ويترتّب عليها تالٍ، وهو أن الحديث حول الأساطير كان من أهل مكّة وجمهرتهم من المشركين ولا ربط له بأهل المدينة.

الدلالة الثانية: أن القائلين بالأساطير غالبهم من الذين ينكرون البعث واليوم الآخر.

وهو ظاهرٌ من مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٢ -٨٣]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [سورة النمل: ٦٧-٦٨] وغيرهما.

الدلالة الثالثة: أن المشركين لّما جادلوا النبيﷺ واعترضوا عليه كانوا يؤمنون بوجود الأساطير في القرآن بعقيدة صلبة وصادقة لا يعتريها شكٌّ أو تردّد، وإلى درجة أنهم كانوا يتحدّون: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا

(٤٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السيد محمد رشيد رضا، ج١، ص٣٣٠.
(٤٤) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص٢٠٠.
(٤٥) لاحظ: المصدر نفسه، ص٢٠٢ -٢٠٨.

﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [سورة الأنفال: ٣١ -٣٢].

يقول خلف الله: «ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقّته في تصوير إحساساتهم لابد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة كانت قوية عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن ذلك لأنهم لا يستطيعون هذا القول إلا إذا كان هناك ما يبرّر فعلا هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكّدونه هذا التأكيد»(٤٦).

الدلالة الرابعة: أن القرآن لم يحرص أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه؛ فالآيات إما أنها لم تعقّب على ذلك، أو اكتفت بالتهديد على إنكار البعث أو الصدّ عن اتباع النبي ﷺ، وإما أنها ردّت وعقّبت ولكن من أجل نفي كون الأساطير من عند النبي ﷺ يكتتبها ويملّيها وإثبات أنها من عند الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة الفرقان: ٥ -٦].

والنتيجة من مجموع هذه الدلالات- بحسب زعمه -هو ثبوت نظرّيته و: «إذا كان إحساس القوم بورود الأساطير في القرآن قوياً عنيفاً وعقيدتهم في ذلك قوية ثابتة. وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد ﷺ وليس من عند الله. إذا كان كلّ هذا ثابتا فإنّا لا نتحرّج من القول بأن في القرآن أساطير لأنّا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن»(٤٧).

مناقشة هذه الدلالات وأصل النظريّة:

ونبدأ بالفكرة التي مهّد بها خلف الله عرض نظريّته حول الأساطير في القرآن، وهي تجويز الأدباء استعمال المادة القصصيّة الكاذبة والباطلة في بثّ الإرشادات والتوجيهات والمبادئ إلى القارئ والمستمع، فنقول: أجازوا أم لم يجيزوا فلا تعدّ إجازتهم مبرّراً لسماح

(٤٦) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص٢٠٤.

(٤٧) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص٢٠٦ -٢٠٧.

ذلك وإمكانه في القرآن، وليسوا هم من يقرّر طبيعة الأسلوب والنهج القرآني في بث الوعي والتوجيه إلى الناس، فلا يقاس القرآن المعجز الصادر من القادر والحكيم والقهّار والمسيطر والمحيط بما لدى المقهور والمحاط والمخلوق من أسلوب لا يرقى بأكثر من مستواه وغرضه ومحدوديّته في أحسن التقادير، وإنما نفس الكتاب الشريف هو يفصح عن ذلك، وآياته الكريمة قد نطقت وتحدّثت بأنه حقٌّ كلُّه وقد أُنزل بالحقّ من لدن الحقّ تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٥]، فلم يداخله باطل أو يساوره فساد أو كذب، لا من جهة المادّة ولا من ناحية الغاية والهدف، وحتى قصصه وأخباره-كقصص نبي الله موسى ونبي الله عيسى عليهما السلام -وسمت بالحقّ الذي بإزائه واقعٌ وثبات: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة القصص: ٣]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[سورة آل عمران: ٦٢]، وكأن لسانه يشير إلى رفض مبدأ أن الغاية -وإن كانت حقّة -تبرّر الوسيلة ولو عبر الاستعانة بالمادة الكاذبة، وأنه عمل الله تعالى الذي لا تقصر قدرته عن إبلاغ الهدى والرشاد بالصدق والإخبار الواقعي، فكل ما في الوجود هو خلقه ولا يخرج عن تدبيره وتقديره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق: ٣] فكيف يعوز ويفتقر إلى أسلوب وضيع كالاتكاء على الأساطير؟!!.

وكلامنا السابق الذي نفيناه عن القرآن هو تضمينه المادة الكذب في إخباراته وقصصه بهدف الاستفادة منها في بثّ الأحكام والتوجيهات، أما إذا كان ذكره للأباطيل بداعي كشف غيّها وزيفها وبيان مواطن الخلل فيها فهو لا مانع منه ولا يتعارض مع الصدق والواقع وهو خارج منظورنا.

أما ما يرتبط بالدلالات التي ساقها فهي غير موصلة إلى مبتغاه، وقد شطّ بها بعيداً جدّاً وتصنّع في تأليفها بما لا يخدم عليه السياق أو تعين عليه القرينة، وما بني على أساس فاسد فنتيجته مثله، وتفصيل ذلك:

ذكر خلف الله أربع دلالات، والدلالتان الأُوْلتان منها جعلهما تدعيماً ومعبراً للتاليتين اللتين هما العمدة ورأس الحربة في استدلاله، ولذا لا يهمّنا التوقّف كثيراً في الدلالتين الأُولتين ولا توجد حزازة وغضاضة فعلاً من جهتها -إذ القول بمكيّة الآيات التسع أو غالبيّتها وأنها تتحدّث عن لسان أهل مكّة وجمهرتهم من المشركين هو مما لا يخفى، وكون أكثر القائلين بالأساطير هم من الذين ينكرون البعث والمعاد مما لا ينكر أيضاً ولا ضير فيه بحسب ما سنذكره من معنى لا الذي اختاره القائل بالأساطير- وإنما نقصر المناقشة على الدلالتين الثالثة والرابعة.

أما الدلالة الثالثة التي يذكرها- والتي حاصلها أن المشركين صادقون في اعتقادهم بوجود الأساطير في القرآن- فيرد عليها:

أولاً: من أين عرف خلف الله أن المشركين لديهم ما يبرّر لهم قولهم وأن ما يذكرونه يعتقدون بصوابيّته بصدقٍ وصلابة؟!!. وهل الآيات التسع في مقام بيان صدق أحاسيسهم كما يدّعي أم أنها في مقام التوبيخ والذم لهم على لجاجهم وعنادهم وتكذيبهم للقرآن والنبي ﷺ ؟!!.

لو نقوم بمسحٍ سريع لمجموع هذه الآيات لاتضح بجلاء ما هو المغزى من رمي المشركين القرآنَ بالأساطير، ولعرفنا هشاشة الدعوى التي حاول خلف الله التمسّك بها بدون موضوعيّة واستقامة في فهم سياق الآيات، ففي موضع الشاهد من سورة المطفّفين ذكرت الآية التالي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطفّفين: ١٠ -١٤]، أي أنّ هناك صفاتاً ثلاثاً لمن يكذّب بالمعاد ويوم الدين، وهي أنه معتدٍ وأنه أثيم وأنه يصف القرآن بالأساطير المكذوبة للأوّلين، وأن الله تعالى قد طبع على قلبه لتكذيبه ولصفاته المذكورة، فأين الدلالة على مبرّرات وصدق كلام المشركين التي يذكرها المستدل في الوقت التي يصفهم القرآن بالمكذّبين والمعتدين

المتجاوزين؟!!. إنه لغريبٌ حقّاً.

وفي موضع الشاهد من سورة المؤمنون يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٢-٨٥]، ومضمونه أن الكافرين والمكذّبين بالآخرة وفي سياق استهزائهم واستبعادهم للبعث يقولون أنّ مسألة المعاد والقيامة هي ممّا وُعِدْنا بها نحن وآباؤنا من قِبَل الأنبياء السابقين عليهم السلام وإلى الآن لم تتحقّق، فلو كانت حقّاً لوقعت فهي إذن من الأحاديث الكاذبة والخرافيّة، ثم تردّ عليهم الآية بإثبات المعاد عبر بيان مالكيّة الله تعالى ومملكته، وهذا المورد هو الآخر يثبت أن لجوء الكفّار إلى وصف القرآن بالخرافات ناتج من استبعادهم وتسفيههم لليوم الآخر وليس بسبب اعتقادهم وجود مادة الأساطير فيه. ونفس هذا التقريب والمضمون يجري في موضع الشاهد من سورة النمل[٤٨] وسورة الأحقاف[٤٩].

وأما في سورة الفرقان فيقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [سورة الفرقان: ٤ -٦]، وتقريبها: أن الذين كفروا لمّا عرض عليهم الرسول صلى الله عليه وآله القرآن قاموا باتّهامه ظلماً وكذباً بأنه وبالاستعانة ببعض الآخرين افتراه ثم اختلق نسبته إلى الله، أو أنه كانت تملى عليه أكاذيب وخرافات السابقين بشكلٍ يوميّ ومتتابع فيحفظها ويلقيها على أنها من الله، ثمّ تأمر الآية النبي صلى الله عليه وآله بالردّ عليهم بأن ما تدّعونه واهٍ ومرفوض؛ إذ أنه مُنزلٌ من قِبَل الذي يعلم الخفايا والأسرار وليس بحسب ما تزرون من كونه أساطير وإملاءات من الغير. وهذا الموضع أيضاً لا دلالة فيه على كون الكافرين صادقين في

(٤٨) [سورة النمل: ٦٨].
(٤٩) [سورة الأحقاف: ١٧].

أحاسيسهم، خاصة مع تقريع الآيات لهم وأمرها للنبيﷺ بالرد عليهم.

وبنفس هذا البيان والكلام بنحوٍ قريب ينطبق على الشاهد في سورة النحل[٥٠] وسورة القلم[٥١] وسورة الأنعام[٥٢].

والشاهد التاسع والأخير هو قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠-٣٢]، ولسانها لا يختلف عن سابقاتها من الآيات من حيث التعرّض إلى صورة العناد والتكذيب من قبل المشركين لنزول القرآن من الله تعالى الذي مصيره إلى تكذيب النبيﷺ أيضاً، فبعد ذكر ما يخطّط له المشركون من مكرٍ إلى شخص الرسولﷺ يردف عليه بيان كيفيّة استهزائهم واستهانتهم بمقام الكتاب الشريف؛ حيث يدّعون أنهم عقلوا ما به من آيات فوجدوها هشّة ولا قيمة لها، ولا تعدو كونها تأليفاً من أساطير وأباطيل السابقين والتي بوسعهم الاتيان بمثيلاتها، والعجيب أنهم يعلمون بعجزهم عن الاتيان بمثله -إذ لو استطاعوا لعارضوه وتحدّوه به -ومع ذلك يتصنّعون القول بالقدرة، وهذا دليلٌ على عدم اعتقادهم بوجود الأساطير في القرآن بنحو الصدق والإصرار الشديد كما يدّعي خلف الله؛ بل إن لهم مآرب وأغراضاً أخر، ولو من باب التمويه على أتباعهم وحفظ مركزهم.

وأما ذيل المقطع -والذي تمسّك به خلف الله لاثبات وجود التحدّي من المشركين الدال على صدق دعواهم للأساطير -فهو لا يخدم رؤيته أيضاً بحالٍ؛ وذلك لأنه إما أن يكون مواصلة لغرض الكافرين في تمويه الحقائق على الناس وخداعهم باختلاق التحدّي بنزول

(٥٠) [سورة النحل: ٢٤].
(٥١) [سورة القلم: ١٥].
(٥٢) [سورة الأنعام: ٢٥].

العذاب فيصبح تتميماً للمقطع المتقدّم، وإما أن يكون له شأنٌ آخرٌ يختلف مع سابقه شكلاً ويتّحد معه روحاً؛ وتوضيحه بحسب نظر صاحب الميزان﵀ : أن قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ به ظهور في الحصر فيلائم قول من كان يعتقد بالدين ورسالة السماء إلا أنه أنكر ما أتى به النبيﷺ أو شطراً معيّناً منه -كما لو لم يحتمله أو ثقل عليه تصديقه والالتزام به -فترجم إنكاره وردّته بمخاطبته الله: اللهم إن كان هذا الشيء المعيّن والمحصور هو من عندك وليس من عند النبيﷺ فأمطر عليّ حجارة من السماء، جاء في تفسير الميزان:

«ثم قوله: «إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ» يدل بلفظه على أن الذي سمعوه من النبيﷺ بلسان القال أو الحال بدعوته هو قوله: «هذا هو الحق من عند الله» وفيه شيء من معنى الحصر، وهذا غير ما كان يقوله لهم: هذا حق من عند الله فإن القول الثاني يواجه به الذي لا يرى ديناً سماوياً ونبوة إلهية كما كان يقوله المشركون وهم الوثنية: ما أنزل الله على بشر من شيء، وأما القول الأول فإنما يواجه به من يرى أن هناك ديناً حقاً من عند الله ورسالة إلهية يبلغ الحق من عنده ثم ينكر كون ما أتى به النبيﷺ أو بعض ما أتى به هو الحق من عند الله تعالى فيواجه بأنه هو الحق من عند الله لا غيره، ثم يرد بالاشتراط في مثل قوله: اللهم إن كان هذا هو الحق...»[٥٣].

والخلاصة من جميع ما تقدّم أن جميع الآيات التسع التي تناولت لفظة الأساطير على لسان المشركين لا تلوح منها قرينة أو إشارة إلى كونهم يعتقدون بصوابيّة مقولتهم، بل على العكس من ذلك، كل المقاطع كانت تكشف زيف وتمويه ادعاءهم، وأنه نوع من الاستهزاء أو التمويه والكذب.

ثانياً: لو تنزّلنا وقلنا بأن المشركين كانوا في قمّة تصديقهم بوجود مادة الأساطير في الكتاب العزيز، فهذا لا يلازم وجود المادة الباطلة فعلاً في ثناياه، فلم نتمسّك بهذا القشر والاحتمال الواهي من الذين كذّبوا

(٥٣) الميزان في تفسير القرآن، السيّد الطباطبائي، ج٩، ص٦٨.

الآيات وعارضوها وأنكروا نزولها من الله تعالى واتهموا النبيﷺ بالإفك والافتراء ونغض الطرف عن نفس حكاية القرآن عن نفسه أنه حقّ وحديثه صدق وأنه معجزٌ ومصان عن الباطل قبل وبعد، إن هذا تحكّم وإشاحة بالعين عن الرأي الصراح.

ثالثاً: يفهم من دعوى خلف الله أن اعتقاد المشركين الجازم والصادق بوجود مادة الأساطير في القرآن يختصّ بالقصص والانباءات، بينما يظهر من الآيات الشريفة السابقة أن المكذّبين والكافرين كانوا يصفون كلّ القرآن بأنه أساطير الأوّلين، فيلزم من كلامه ودعواه كون كل القرآن -أو على الأقل غالبه -متشكّل من الأساطير، والتالي باطلٌ بالضرورة- باعترافه هو أيضاً -فالمقدّم مثله.

وأما بالنسبة للدلالة الرابعة والتي حاصلها أن القرآن لم ينف عن نفسه تهمة وجود الأساطير وإنما نفى أن تكون هي الدليل أنه من عند النبيﷺ وليس من عند الله تعالى فهي من العجائب والغرائب، فأين ذهب مثل معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٢] والذي تكرّرت الإشارة إليه في البحث مراراً؟!!. وهل يمكن قبول وتصديق أن الآيات التسع السابقة تنحصر فائدتها وظهورها فقط في نفي كون الأساطير دليلاً على أن القرآن من النبيﷺ وليس من الله، ثم تكون في عين الحال دالةً على قبول كلام المشركين وصدقهم أو عدم رفضه في وجود الأساطير بالآيات؟!!. من أين جاء هذا التلفيق وإلى أيّ سياقٍ وعرفٍ عربيٍّ قويمٍ ينتمي؟!!.

فهل يفهم في الآيات الشريفة التالية- مثلاً -: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطفّفين: ١٠ -١٤] أن القرآن لم يحرص على نفي الأساطير عنه عندما وسم القائل بها بالكاذب الذي مصيره جهنّم وقد ران على قلبه وأنه أقام على الإثم والاعتداء والتجاوز وقد كذّب بأصل الآخرة والقيامة؟!!.

أولم يتقدّم أن قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[سورة الفرقان: ٤-٦] فيه تكليفٌ للنبي ﷺ أن يفنّد كلام المفترين الذين اتهموا القرآن بالأساطير والإفك زوراً وتكذيباً؟!!. وهل هذا أمرٌ أجنبيٌّ وغريبٌ عن نفي أصل مادة الخرافة والبطلان؟!!. يقول العلامة صاحب الميزان رحمه الله:

«قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ أمر للنبي ﷺ برد قولهم وتكذيبهم فيما رموا به القرآن أنه إفك مفترى وأنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه وقتا بعد وقت. وتوصيفه تعالى بأنه يعلم السر أي خفيات الأمور وبواطنها في السماوات والأرض للإيذان بأن هذا الكتاب الذي أنزله منطو على أسرار مطوية عن عقول البشر، وفيه تعريض بمجازاتهم على جناياتهم التي منها رميهم القرآن بأنه إفك مفترى وأنه من الأساطير وهو مما يعلمه تعالى»(٥٤).

وبذلك يتّضح سقم الدلالة الرابعة أيضاً، ويتحصّل من ردّها ورد الدلالة الثالثة عدم صحة نظريّة الأساطير التي نادى بها خلف الله وبطلانها بالكامل.

خامساً: الأدلّة على واقعيّة القصص القرآنية:

رغم أن نفس المناقشات لآراء خلف الله وآثارها تتضمّن ذكر عدّة من الأدلّة على صدق وقوع القصص القرآنيّة إلا أن حصرها وجمعها في موضعٍ واحد لا يخلو من بركات وفائدة، وهي بشكلٍ عامٍّ:

الدليل الأول: الغاية والهدف القرآني السامي:

لا شك أن من أعظم أهداف القرآن هو هداية الناس وإرشادهم وإيصالهم إلى الكمال المنشود، وأن أسلوب القصص فيه يعدّ من أبلغ الطرق وأسرعها في إيصال العبرة والعظة والاعتبار بالسنن

(٥٤) الميزان في تفسير القرآن، السيّد الطباطبائي، ج١٥، ص١٨٢.

والتجارب: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦]، ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ... وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، فلو كانت قصصه خياليّة ولا حظّ لها من الواقع لكان ذلك أبعد من ناحية الاقتداء والاستيثاق والتفاعل، بالذات إذا عرفنا أن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي يتعامل معه المؤمن باحترام وتقديس ويعدّه دستوره ومصدر سعادته في كلّ الحياة، وعليه فالعقل يقودنا إلى الاهتداء بكون كلّ قصص القرآن وآياته هي صادقة وإلا لزم خلف الغرض من إرساله، يقول تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة هود: ١٢٠].

الدليل الثاني: دور القرآن في الهيمنة على الكتب السماويّة السابقة وتصحيحها:

يقول تعالى شأنه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

من خصائص القرآن المجيد أنه معيارٌ وميزان لمعرفة الحقّ والباطل الذين امتزجا واختلطا في الكتب السماوية السابقة المحرّفة والتي منها قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم السالفة، فلو لم نقبل الصدق والواقعيّة في إخباراته وحكاياته لما كان مسيطراً على الكتب المحرّفة ومصحّحاً لأخطائها.

الدليل الثالث: دور القرآن في تفصيل وشرح الكتب السماويّة السابقة:

يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يونس: ٣٧].

والآية فيها دلالة على أن القرآن الكريم يمتاز بكونه تفصيلاً لما أجمل في الكتب السماوية السابقة عليه، فكلّها من حيث الروح واحدة، ولكن القرآن متفوّق عليها بسمة الشرح والتفصيل حتى في قصصها ومواعظها، فما كان هذا شأنه كيف يحتوي الخيال والأساطير؟.

الدليل الرابع: وصف القرآن لقصصه بالحق:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[سورة آل عمران: ٦٢]، ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة القصص: ٣]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣].

والحقّ يعني المطابق الذي بإزائه واقع، والذي لا يجامع الباطل والخيال أبداً: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[سورة يونس: ٣٢].

الدليل الخامس: وصف القرآن لنفسه بالكامل أنه حقّ:

يقول تبارك وعلا: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٢]، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[سورة آل عمران: ٣]، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[سورة الإسراء: ١٠٥].

وقد مرّ شرح هذه الآيات سابقاً واتضح معنى الحق في الدليل المتقدّم، والفارق بين هذا الدليل وما قبله هو أن ذاك الأوّل يصف خصوص القصص أنّها حقٌّ، بينما هذا يصف كلّ القرآن بما فيه القصص أنه حقٌّ.

الدليل السادس: استبطان الوقوع والتحقّق في نفس مفهوم القصّ:

ربما يذهب البعض إلى عدّ نفس مفهوم القصّة لوحده كافٍ في استفادة وقوع المحكي بتقريب: أن أصل القصّة هو حكاية لما هو واقعٌ؛ لأنها تتبّع واقتفاء للأثر الذي حدث وجرى كما ذكرنا في أوّل البحث، وحينئذٍ يكون استعمالها في غير معنى الوقوع من باب التجوّز ويحتاج إلى نصب القرينة، وطالما أن القرآن استعملها مطلقةً بدون إضافةٍ إلى شيء أو تضميم علامة فتدل على معناها الأصلي.

الدليل السابع: القرآن لا يناسبه إلا الصدق من جميع الجهات:

عندما نلاحظ سعة قدرة الله تعالى وسيطرته على مملكته وشؤونه وإحكامه الإحاطة لكل أموره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة الطلاق: ٣]، ومن جهة أخرى

نلحظ موقعيّة القرآن وكونه الرسالة الخالدة التي أنزلت بالحقّ وحُرِص على صيانتها وحمايتها من كل أسباب الضعف والتحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[سورة الحجر: ٩]، وأنه منيعٌ عزيزٌ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[سورة فصّلت: ٤١-٤٢]، نصل إلى إطمئنان أنه لا يلائمه إلا الصدق والوقوع والتحقّق، ولا يليق بعظمته أن يحوي مثل الخيالات ومادة الأباطيل.

ملاحظة:

كثيراً ما يستعمل القرآن المجاز والاستعارة والكناية وأمثال ذلك بحيث ينصرف الكلام عن معناه الحقيقي بنصب القرينة وملاحظة نوع المناسبة واللازم وغيرها، ولكن مع ذلك لا يصيّر هذا الاستعمال الآيات خيالاً ويخرجها عن الصدق والواقع؛ إذ استعمال الأمور والأساليب الفنيّة لا يعدّ كذباً وخيالاً.

الخاتمة:

في الأخير، وبعد عرضٍ مفصّلٍ لآراء محمد أحمد خلف الله حول القصص القرآنية والخيال والأساطير ومناقشة كل مستنداتها وبيان آثارها، وبعد دراسة مجموعة وافرة من الآيات الكريمة حول المسألة نستخلص النتائج التالية:

أ. أن القصص الواقعيّة هي التي حصل مضمونها، ويقابلها الخياليّة التي تصوّر أنها حاصلة، وأما الأساطير فهي الأحاديث الباطلة المفتعلة.

ب. قسم خلف الله القصص القرآنية إلى ثلاثة ألوان، هي اللون التاريخي الذي قد يكون واقعيّاً ولكن ليس بالضرورة، واللون التمثيلي الذي هو نسجٌ من الخيال، واللون الأسطوري الذي يستعين بالخرافات الموجودة لدى الناس.

ج. من أبرز الآثار المترتّبة على آراء خلف الله حول الألوان الثلاثة هو ضمور التفاعل الصادق والحيّ بين القارئ وهذه القصص، بل مع جميع آيات القرآن بنحوٍ عام ويفقد الثقة بها.

د. هذه الأفكار تنسجم كثيراً مع النظريّة التي يذهب إليها الفريق الواسع من

المستشـــرقين وبعض المنفتحين بأن القرآن الكريم قد تأثّر بالثقافة والبيئة التي ظهر فيها.

ه. تصوير القرآن للأحداث كما يعتقدها المخاطبون لا كما هي في الواقع هي دعـوى فـاقـدة للدليل، ولا يملك أصحابها برهاناً شافياً بدرجة من الإحكام.

و. الآيات الكريمة قد وصفت القرآن- بما فيه القصص -بأنه حقٌّ كلُّه ولا يخالطه باطل وقد أُنزل بالحقّ من لدن الحقّ تعالى، ولسانها يشير إلى رفض مبدأ أن الغاية -وإن كانت حقّة -تبرّر الوسيلة ولـو عبر الاستعانة بالمادة الكاذبة والأساطير، أما إذا كان ذكر الأباطيل بداعي كشف غيّها وزيفها وبيان مواطن الخلل فيها فهو لا مانع منه ولا يتعارض مع الصدق والواقع في القصص والإنباءات القرآنية.

ز. جميع الآيات التسع التي تناولت لفظة الأساطير على لسان المشركين لا تلوح منها قرينة أو إشارة إلى قبول أو تبنّي الـقـرآن لوجودها كـمادّة في قصصه أو أخـبـاره، بل أنهـا تثبت العكس، وتصف قائليها بالكاذبين والمفترين.

ح. كل آراء خلف الله مردودة ولا تتوفّر على شرائط القبول، وبمقابلها توجد أدلّة متنوّعة عقليّة وتعبّدية على كون جميع القصص القرآنية واقعيّة.

ط. استعمال الأمـور والقضايا الفنيّة في القرآن الكريم -كالمجاز والاستعارة والكناية مع شروطها وأدواتهـا -لا يخالف واقعيّته، وهي ليست خيالاً أو أسطورة.

وبهذا نكون قد استوفينا الكلام حول الموضوع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والـصـلاة والـسـلام عـلى سيّد المرسلين محمـــد وآله الطيّبين الطاهرين المنتجبين.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

١. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، رضوان، عمر بن إبراهيم، دار الطيبة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ ق-١٩٩٢م.

٢. قرآن وفرهنگ زمانه، أيازي، السيد محمد علي، انتشارات كتاب مبين، دفتر تبليغات إسلامي، قم، ط٢، ١٣٨٠هـش.

٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، السيد محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٤. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، السيّد حسن، مركز الكتاب للترجمة والنشر، ط١، ١٤٠٢هـ ق.

٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ق.

٦. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ ق.

٧. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، إسماعيل بن حماد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ق.

٨. الفن القصصي في القرآن الكريم، خلف الله، محمد أحمد، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، سينا/ الانتشار العربي، لندن، ط٤، ١٩٩٩م.

٩. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، عباس، فضل حسن، دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢١هـ ق-٢٠٠٠م.

١٠. كتاب العين، الفراهيدي، خليل بن أحمد، تحقيق وتصحيح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، نشر هجرت، قم، ط٢، ١٤١٠هـ ق.

١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣،

١٤٠٧هـ ق.

١٢. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، كتابفروشي مرتضوي، طهران، ط٣، ١٤١٦هـ ق.

١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط٣، ١٣٧٢هـ ش.

١٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وتصحيح: عبد السلام محمد هارون، انتشارات دفتر تبليغات إسلامي حوزه علمية قم، قم، ط١، ١٤٠٤هـق.

١٥. مفردات ألفاظ القرآن، الإصفهاني، حسين بن محمد راغب، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار العلم – الدار الشامية، لبنان –سورية، ط١، ١٤١٢ هـ. ق.

١٦. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، السيد محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، قم، ط٥، ١٤١٧هـ ق.

١٧. نهج البلاغة (ترتيب د. صبحي الصالح)، الشريف الرضي، محمد بن حسين، تحقيق: فيض الإسلام، نشر الهجرة، قم، ١٤١٤هـ ق.